خواطر في الطريق إلى الكهف

الأخ حازم

كانت الساعة تقترب من الخامسة مساء عندما توجّهت مع زوجتي باتجاه كهف في قمة أحد جبال الأندلس المفقود .. كان القلب يخفق حنيناً لهذه الأرض كان للإسلام فيها صولة وجولة ..

دخلنا الكهف المعدّ للسياح ، وهو على شكل تجويف عمقه أكثر من مائة متر داخل الجبل .. وكانت الحيرة والدهشة مرتسمة على وجوه الجميع ..

وهنا تقدم المرشد وقال : هذا الكهف يقدر عمره بمائة مليون عام وهو أطول وأعمر كهف في أوروبا والذي اكتشفه هم العرب عام ٧٤٠ ميلادي .. وقد فتح للسياحة منذ ثمانية عشر عاما ..

شعرت بعزة نفسٍ في نفس الوقت الذي توجهتْ فيه أعينُ السياح إلى زوجتي المحجّبة .. وكأنها تريد أن تقول لهم بزيّها ها أنذا عائدة مرة أخرى ولكن ليس كعربية ، وإنما كمسلمة فاتحة بإذن الله ..

طرت بخيالي إلى إخواني في سورية ، وكأنني أناديهم من هذا المكان بألا تخافوا ولا تحزنوا فإن الذي خلق هذا الكهف بهذه المعجزة الساحرة لقادر على أن يأخذ بأيديكم إلى طريق النصر وما ذلك على الله بعزيز ..

كانت الأنوار داخل الكهف مرتبة ترتيباً رائعاً وتعطيه قدراً عظيماً من الجمال .. وبينما أنا أدقق النظر إلى الأشكال الصخرية المختلفة التي جعلها الله في هذا الجبل .. إذا بطفل صغير يسأل أباه قائلاً : أبتاه من صنع هذه الأشياء ؟ فقال الأب : الماء يا ولدي ، انظر إلى تلك الفتحة العلوية من الجبل فقد دخلها الماء وصنع هذه المناظر التي تراها .. واستسلم الطفل للإجابة وكأنه لم يقتنع بها ! ولكنه أسلم أمره لمن يعتقد أنه أعلم منه ، أما أنا فقد تذكرت كيف أن أطفالنا في سوريا يسألون آبائهم : أبتاه من شاد هذا السجن ؟ من اعتدى على أمي ؟ من قتل أخي ؟ فيجيب الأب قائلاً : إنهم الكفار يا ولدي .. إنهم الظلمة الذين لا يريدون للإسلام أن يسود ولا لكلمة الله أن تعلو ..

لم يمضِ وقت طويل على التجوال في الكهف حتى شعرت أن وقت صلاة العصر قد أوشك على الانتهاء .. فهرعت إلى مكان جانبي وصليت في إحدى زوايا الكهف وشعرت شعوراً غريبا .. شعرت كيف أن هذه الأرض سوف تشهد لي يوم القيامة .. وشعرت أنني ربما أكون أول مسلم يصلي في هذا المكان بعد ضياع الأندلس ..

وشعرت كيف أن إخواننا في سوريا قائمون على أمر الله لا يضرهم من خالفهم بالرغم من حملات القمع والتعذيب تحت شعارات القومية والاشتراكية والوطنية

وكأنني برجل كبلال بن رباح ينادي من على رأس هذا الجبل :

الله أكبر الله أكبر ، أشهد ألاّ إله إلاّ الله ، أشهد أن محمداً رسول الله

وآخر يردّ عليه من الوادي قائلاً له :

عائد أنا من حيث أتيت .. عائد أنا للمسجد .. عائد إلى الصلاة والركوع والسجود .. عائد أنا خلف أحمد الرسول .. – صلى الله عليه وسلم –